اختلاف العلماء في حكم إدخال شيء على المصاحف

اختلف العلماء قديما حول حكم إضافة تحسينات أو نقط أو شكل على القرآن الكريم، فمنهم من أنكرها وقال ببدعيتها وداخلة في حديث :" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، ومنهم من لم ير في ذلك حرجا وجعلوا ذلك من باب قول الأصوليين "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، ومنهم من جعل إدخال هذه الأشياء ضرورة لابد منها وفق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وفيما يلي بيان مختصر لأدلة الأقوال الثلاثة ومناقشتها مع ترجيح ما نراه صوابا.

1- أدلة المانعين:

- ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم).

- ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (جرّدوا القرآن ليربوا فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة).

هاتان الروايتان وغيرهما فهم منها بعض أهل العلم تجريد القرآن من النقط والشكل.

- ومن الأدلة العقلية للمانعين أن المصاحف لما كتبت في المرحلة البكرية والعثمانية كانت خالية من النقط والشكل فلا يجوز مخالفتهم وإحداث شيء فيها لم يفعله الصحابة الكرام.

مناقشة أدلة المانعين:

تلك النصوص ظنية الدلالة غير صريحة فلا تعني بالضرورة ترك تحسين الحروف من نقط وشكل وغير ذلك، وقد تعقب أبو عبيد القاسم بن السلام تلك النصوص وقال إن الناس قد اختلفوا في معنى تجريد القرآن فكان إبراهيم النخعي يرى أنه يقصد بذلك نقط المصاحف إلى أن قال إن النخعي كره ذلك مخافة أن يأتي قوم يدركون المصاحف منقوطة فيعتقدون أن النقط من القرآن.

فيكون ما ذهب إليه هؤلاء هو اجتهاد ورأي وليس نصا شرعيا ملزما، وأفهام الناس تختلف فقد رأى غير النخعي بأن تجريد القرآن يقصد به تجريد التلاوة كما نقل ذلك السيوطي.

وقد أزال البيهقي الغموض إذ قال: (الأبين أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب).

وأما عن دليلهم العقلي فلا يستقيم لهم لأن النقط لم يكن عند العرب أصالة وإنما دعت إليه الحاجة فيما بعد.

2- أدلة المجيزين:

- ما نقله الداني عن بعض العلماء أنهم قالوا: (العجم نور الكتاب) والمقصود بالعجم النقط.

- ما نقله السيوطي عن الأوزاعي حين سئل عن نقط المصاحف فقال : (إعجام الكتاب نور له).

- قالوا بأن ترك المصحف دون نقط وشكل يوقع في اللبس المفضي إلى اللحن والخطأ في القراءة فيكون النقط والشكل وسيلة لتجنب الوقوع في ذلك.

- أجابوا عن ترك نقط المصاحف في العهد النبوي والبكري والعثماني بأن الحاجة لم تكن تدعو إليه لأن العرب كانوا يمتازون بالسليقة التي تغنيهم عن النقط والشكل.

مناقشة أدلة المجيزين:

إن أدلة أصحاب هذا القول لها من الصحة والوجاهة ما يجعلها تتقوى على أدلة المانعين لأن الذين أدخلوا هذا النقط والشكل كان غرضهم تجنب الوقوع في اللحن والخطأ والتحريف وليس مجرد التحسين.

3- أدلة المتوسطين:

يرى أصحاب هذا القول – كابن الجزري والداني وابن تيمية – أن تجريد المصاحف من النقط كان سببه احتمال الكلمة للأوجه الأدائية المقروء بها وهو ما يقصد به أحد أركان قبول القراءة (موافقة أحد المصاحف ولو احتمالا) فلما زالت هذه العلة وضبطت القراءات القرآنية وُضِع النقط والشكل ولا حرج في ذلك.

يقول الإمام الداني:" وإنما أخلى الصدر الأول منهم المصاحف من ذلك ومن الشكل حيث أرادوا الدلالة على بقاء السبعة في اللغات والفسحة في القراءات التي أذن الله لعباده في الأخذ بها والقراءة بما شاءت منها، فكان الامر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها".

وعليه فلا بأس من تحسين المصاحف وتجميلها بالنقط والشكل لأنه يعتبر خدمة للقرآن الكريم وأما إنكار بعض أهل العلم ذلك لأن ذلك كان حدثا في بداية الإسلام ولم تكن العربية تعرفه من قبل.[1]

[1]- ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية لغانم قدوري،ص473.

نبذة عن طباعة المصاحف وتجميل رسمها

سبقت الإشارة من قبل أن تطور كتابة المصاحف في القرون الأولى كان بظهور النقط أي نقط الإعراب ثم نقط الإعجام على يد أبي الأسود الدؤلي ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وقد نسخت مصاحف كثيرة لا تعد بعد توزيع المصاحف التي أمر بها عثمان رضي الله عنه، وكانت تلك النسخ العديدة لا تباع على حسب ما ذكر أحد الباحثين إذ يقول:" إن المصاحف كانت لا تباع أول الامر بالرغم من صعوبة الكتابة وندرة أدواتها، ولكن قلوبهم كانت عامرة بالتقوى ممتلئة إيمانا ويقينا، فكانوا أكثر تلاوة للقرآن وأشد تمسكا بأحكامه، وأكثر رغبة وتنافسا في نسخه وكتابته وإهدائه لبعضهم البعض، وجعله في المساجد ودور العلم والتدريس رجاء الأجر والثواب"[2]

وقد كُتبت المصاحف بعدة خطوط بعد تطور الخط العربي، فكتب أولا بالخط الكوفي في القرن الخامس الهجري ثم بخط الثلث في القرن الثامن والتاسع ثم خط النسخ الذي تكتب به غالب مصاحف اليوم.[3]

ثم إن ضبط المصاحف كان على مذهبين مشهورين هما:

- مدرسة المشارقة ويمثلها مصحف ابن البواب الذي كتبه سنة 391هـ، ويغلب على هذا المصحف استعمال ضبط الخليل الفراهيدي.

- مدرسة المغاربة ويتميز ضبط هذه المدرسة بالإبقاء أكثر على العلامات القديمة والرسم العثماني الأول[4]

ثم بقيت المصاحف تنسخ باليد عدة أزمنة حتى ظهرت المطابع أولا عند الغرب حيث كان لهم قصب السبق في طبع أول مصحف بألمانيا سنة 1431 م فطبعت المصاحف بالآلة بعد أن كانت تنسخ باليد، فساهمت بذلك المطابع في نشر مصاحف القرآن الكريم على أوسع نطاق لكن دون أثر ملحوظ في طريقة كتابتها لأن رسم المصحف قد اكتمل من كافة جوانبه بعد وضع الخليل الفراهيدي علامات الحركات وغيرها وبعد أن استخدمها نساخ المصاحف بعده.

ولما دخلت المطابع لدول العالم الإسلامي حيث دخلت أولا بتركيا ثم مصر والهند وغيرها من البلدان الإسلامية، ثم كان دخول المطابع إلى الدول العربية كالآتي:

- تونس سنة 1271هـ
- حلب سنة 1698م.
- لبنان سنة 1733م.
- مكة سنة 1303هـ.
- جدة سنة 1329هـ.
- المدينة المنورة سنة 1355هـ.

---

[2]- رسم المصحف ونقطه للفرماوي،ص241.
[3]- المرجع نفسه، ص243 بتصرف.
[4]- ينظر مقدمة ابن خلدون،ص537.

- الجزائر سنة 1214هـ، وكانت أول مطبعة بها هي المطبعة الثعالبية، وهي مطبعة تطبع المصحف بالورق الأصفر القديم وبالخط المغربي القديم مضبوط بالرسم العثماني، وفيما يلي صورة نموذجية عن هذا المصحف:

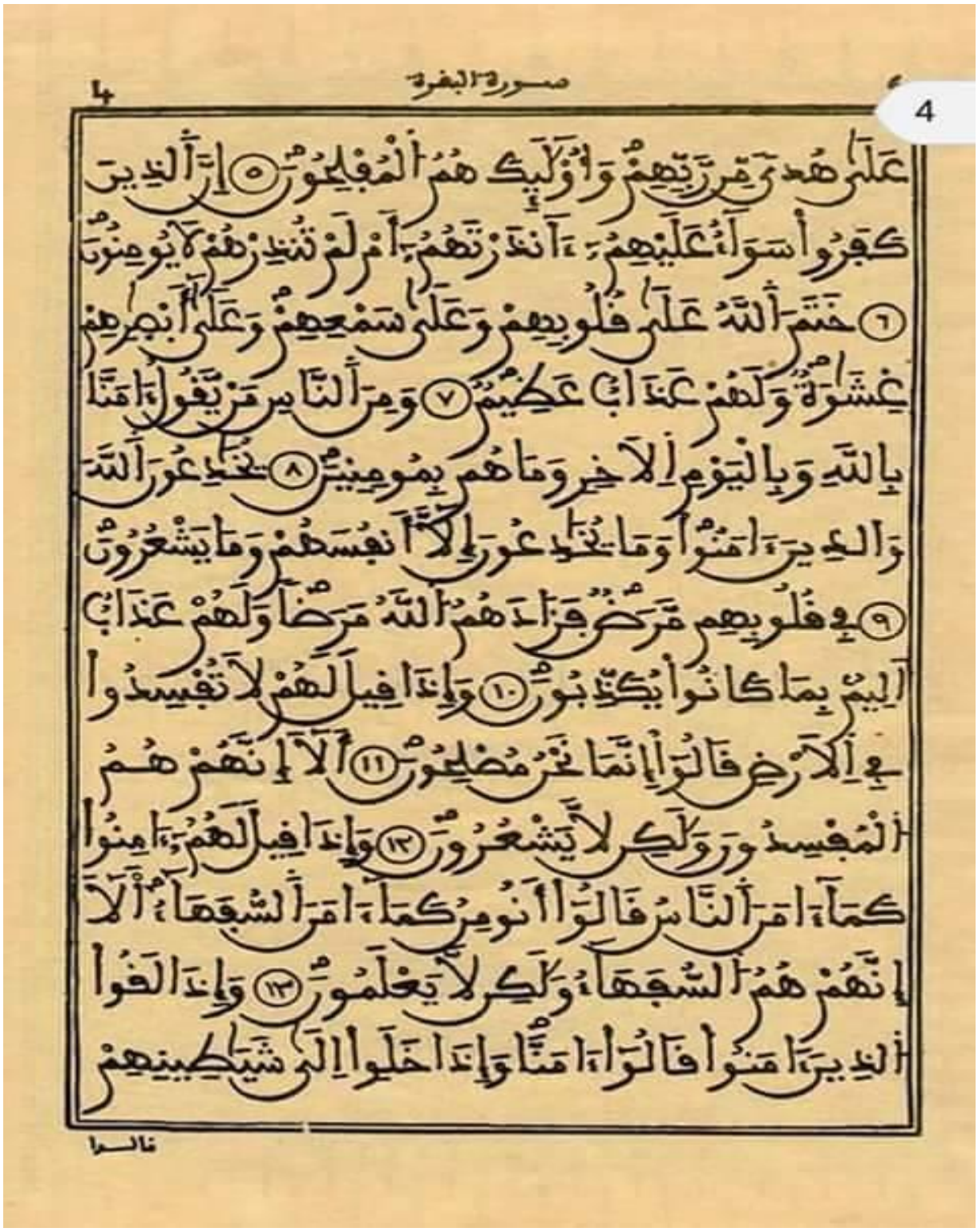

تحسينات مطابع المشارقة على المصاحف:

تمثلت تحسينات المشارقة في طبع المصاحف فيما يلي:

1- تحسينات مادية: ويقصد بها طريقة نسخ وطبع المصاحف بالآلات المتطورة وكيفية إخراجها لحجم الورق ولونه وطريقة تجليد المصاحف.

2- **تحسينات معنوية:** وتتمثل في تسهيل نطق الحروف بكتابتها بخط واضح وطبع جيد وتحقيق الفروق بين المتشابهات بطبع المصحف موافقا للرسم العثماني.

كما وضعوا علامات خاصة بالوقوف من بينها:

ج: ما يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده.

صلى: ما يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده غير أن الوصل أولى

قلى: ما يصح الوقف عليه.

لا: ما لا يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده.

م: ما يلزم الوقف عليه.

وضع ثلاث نقاط على شكل مثلث : ويسمى وقف المعانقة وهو أن يكون موضعان يصح الوقف عليهما ولكن إذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر.

تحسينات مطابع المغاربة على المصاحف:

اعتنى المغاربة بطبع المصاحف على طريقة تميزوا بها عن المشارقة وزادوا علامات وأشكالا على ما وضعه المشارقة من بينها:

- كتبوا المصاحف وطبعوها وفق الرسم العثماني غير أنهم كتبوا بعض الحروف بشكل مغاير للخط المشرقي وهي كالآتي:

- القاف: كتبوها بنقطة واحدة فوق الحرف.

- الفاء: كتبوها بنقطة تحت الحرف.

- النون: كتبوها خالية من النقطة إذا كانت آخر الكلمة.

كما أنهم جعلوا للوقف علامة واحدة وهي رأس حرف الصاد المأخوذ من كلمة (صه) وهي اسم فعل أمر بمعنى اسكت أو توقف عن الكلام.

وغير ذلك من طرق كتابة الحروف ووضع العلامات التي خالفوا بها المشارقة لتكون لهم هوية خاصة وكيانا قرآنيا مميزا، وبالتالي فقد فاق المغاربةُ المشارقةَ في رسم المصحف وضبطه على حسب بشهادة المشارقة أنفسهم وهو ما قرره ابن خلدون في مقدمته.